الغنيمة السياسية

الجمعة 30 أكتوبر 2015 12:10 م

د فتحي أو الورد
ليست الولايات العامة أو المناصب العليا والإدارية فى النظام السياسى الإسلامى مجالا للوجاهة أو النفع الخاص ، أو النظر إليها على أنها غنيمة باردة ، يختطفها المسلم متى سنحت له الظروف والأحوال ، وإنما هى فى النظر الإسلامى تكليف وأمانة ، يجب أن يترشح لها القوى الأمين كما قال تعالى على لسان ابنة شعيب عليه السلام: "إن خير من استأجرت القوى الأمين" (القصص: 26) . كما يجب أن تؤدى الأمانات بحقها ، وإلا عرض المسلم نفسه للخزى والندامة يوم القيامة إن لم يكن أهلا لها ، أو كان أهلا ولم يعدل فيها .
جاء فى صحيح مسلم عن أبي ذر، قال: قلت: يا رسول الله، ألا تستعملني؟ قال: فضرب بيده على منكبي، ثم قال: "يا أبا ذر، إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها، وأدى الذي عليه فيها" .
أما من كان أهلا للولاية وعدل فيها فله فضل عظيم تظاهرت به الأحاديث الصحيحة كحديث سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله ، منهم : إمام عادل ، وحديث مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال : "إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا" .
فالأهلية والقدرة على القيام بمهام المنصب أو الوظيفة هما المعيار الصحيح لتولى المناصب في النظام السياسي الإسلامي
والحرية السياسية تعنى عند المعاصرين أمرين هما:
ـ حق كل إنسان في ولاية الوظائف الإدارية صغراها وكبراها ما دام بكفايته أهلًا لتوليها
ـ حق كل إنسان أن يبدي رأيه في سير الأمور العامة، وتخطئتها أو تصويبها وفق ما يعتقد
ولكن هذه الحريات السياسية بشقيها السابقين - كما يقول الشيخ محمد الغزالي - تقوم على أن المناصب المختلفة وسائل لخدمة المجتمع، وأن من يشغلها موضع الرقابة الدقيقة من جمهور الأمة .
لكن البعض ينظر إلى حقه فى حرية الترشح للمناصب العامة، دون أن ينظر إلى قدراته ومؤهلاته على القيام بواجب هذا الحق ، أو ينظر فى نيته ، هل هى لله ، ثم لخدمة المجتمع ؟ أم أنها نزوة شيطانية ، وبحث عن مجد شخصى ، ومنصب يتوارى خلفه ليرفع خسيسته؟ فما من حق فى الإسلام إلا ويقابله واجب .
وبعض من يتصدرون للشأن العام يستغلون الحرية السياسية التى أقرها الإسلام بشرائطها، ليجعلوا من دلالتها الحسنة - وفق أهوائهم - غنيمة سياسية ، فيترشحون للشأن العام ، والطمع الشخصى نصب أعينهم ، والنهب للمال العام غاية ومقصد لهم ، والنجومية وصناعة مجد شخصى هدف واضح لذواتهم
أما تأييد الفساد ، ونصرة الظالمين ، وتكريس الاستبداد ، وتضييع حقوق الشعوب ، فهذه كلها مفردات البرنامج الانتخابي للمرشح غير المعلنة ، وشروط ترشيحه الغير مكتوبة ، يعطى عليها المرشح العهود والمواثيق قبل أن يخرج اسمه إلى العلن ، ويمنح تأشيرة الفائز الفاشل .
ومن ثم فلا عجب من أن تتصدر النفايات وتتوارى الكفايات ، ولاغرابة من أن يرتفع العظاميون ، وينخفض العصاميون ، وتصبح المناصب العامة غنيمة سياسية ، ولا تسأل بعد ذلك لماذا آلت أحوال أمتنا إلى ما نحن فيه ؟.